مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد العاشر
1993م.

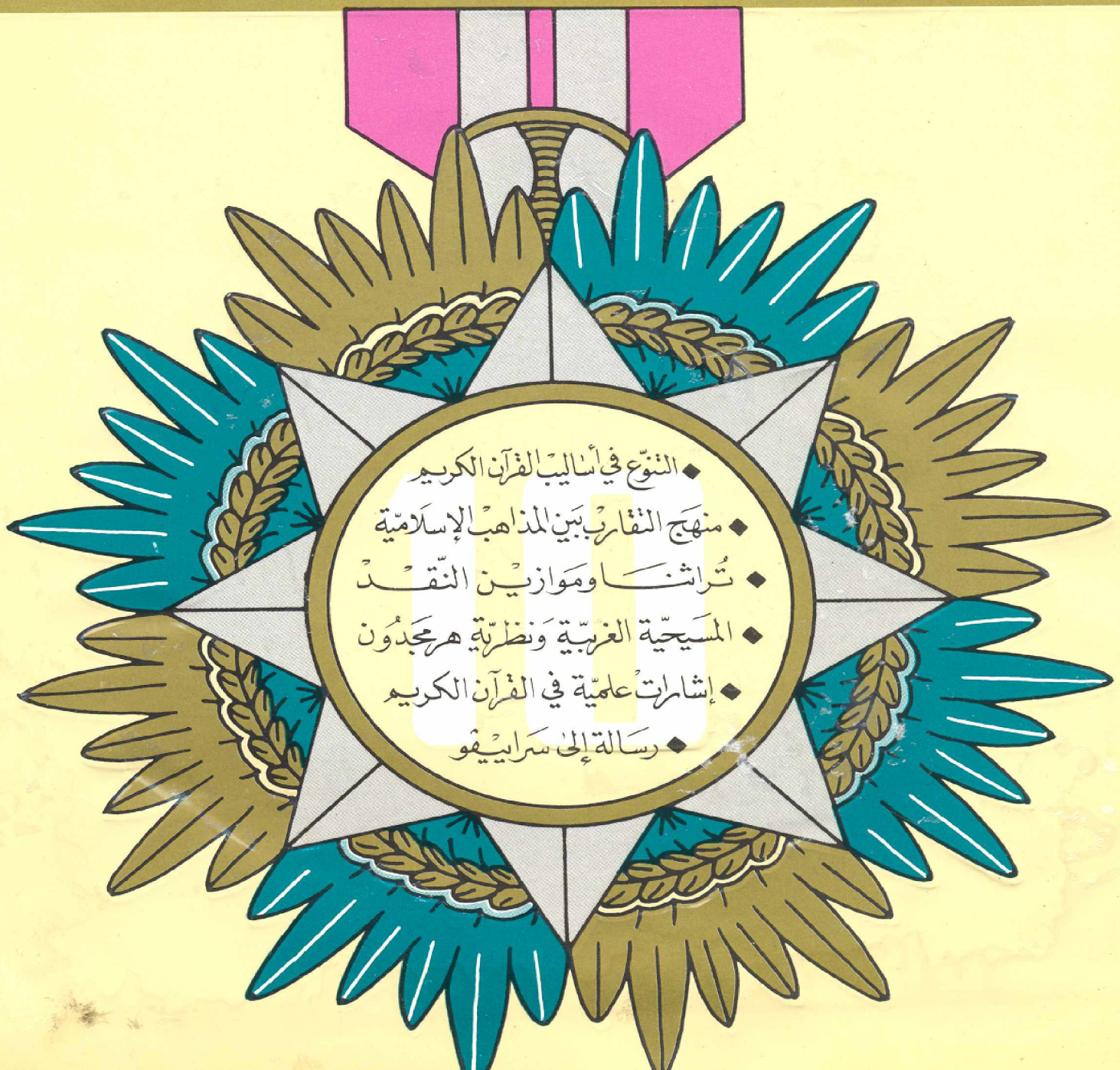

- التنوع في أساليب القرآن الكريم
- منهج التقارب بين المذاهب الإسلامية
- تراثنا وموازين النقد
- المسيحية الغربية ونظرية هرمجدون
- إشارات علمية في القرآن الكريم
- رسالة إلى سراييفو

استشراق

الدكتور محمد الزيادي

الاستشراق مصطلح حديث يرجع أول إطلاق له إلى أواخر القرن السابع عشر، حين أطلق على أحد الذين عرفوا بعض اللغات الشرقية، وشهد أواخر القرن الثامن عشر دخوله إلى القاموس الإنجليزي، ثم تطور إلى أن دخل إلى القاموس العربي مترجماً عن المصطلح الأجنبي (orientalism)، ورغم عدم وجود اتفاق كامل على تحديده بين الباحثين العرب، لارتباطه بالاتجاهات والانتماءات الفكرية لكل منهم، إلا أننا نستطيع القول إن أبسط تعريف له: هو تلك الدراسات والأبحاث التي يقوم بها غربيون انتماءاً أو جنسية عن الشرق في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية. وكما يختلف الباحثون في تعريفه فإنهم يختلفون أيضاً في نشأته، وذلك راجع ـ فيما أتصور لاختلافهم حول الهدف منه، فمنهم من تطرف وأرجعه إلى فترة ما قبل الميلاد، اعتقاداً منه أنه نوع من العلائق الثقافية بين الشرق والغرب التي لا تزيد عن الزيارات وما يتبعها من كتب الرحلات، والبعض الآخر لم ير فيها إلا ذلك الوجه المصاحب للاستعمار الغربي في حملاته ضد العالم الشرقي، فاعتقد أن بدايته كانت مع مسير حملة نابليون إلى مصر وبين هذا وذلك كانت هناك آراء كثيرة، والصواب ـ كما يبدو لي ـ أنه حركة بدأت مع أواخر القرن العاشر الميلادي حين توجه العلماء والقساوسة الأوربيون إلى الأندلس لتعلم اللغة العربية أفراداً وجماعات، لأنها كانت لغة التقدم والحضارة في ذلك الوقت، وتبع ذلك انتشار

واسع لتعلم اللغة العربية في أوروبا، وما نتج عنه من حركة ترجمة للكتب العربية في مختلف العلوم حتى وصل الأمر إلى إقرار الجامعات الغربية لهذا التوجه الذي أشرفت عليه الكنيسة ومنذ ذلك الحين وهذه الحركة تشهد توسعاً كمياً وكيفياً كل يوم إلى أن أصبحت في يومنا هذا جزءاً لا يتجزأ من الإدارة الغربية في التعامل مع الشرق.

ومنذ فترة طويلة كانت النظرة للاستشراق على أنه اهتمام غربي تسيره الكنيسة لمحاربة الإسلام في جوانبه الفكرية، وهو أمر صحيح إذا نظرنا إليه من خلال قرونه الأولى التي هي ـ في تصوري ـ مسئولة عن الصورة السلبية التي ارتسمت في أذهان الشرقيين عن الاستشراق، وذلك بما سطره المستشرقون من آراء خاطئة عن الإسلام، وما كونوه من أطر مرجعية غير علمية عنه، واستمرت هذه النظرة تحدوها نزعات دفاعية من قبل بعض المفكرين العرب والمسلمين، تحاول أن ترسم للاستشراق صورة علمية محضة أساسها التفرد في طرق ومناهج البحث العلمي، كان ذلك إلى أن ظهر كتاب الاستشراق (orientalism) لإدوارد سعيد الذي استطاع الغربيون من خلاله توجيه هذه الحركة لكونها الأكثر معرفة بالشرق ـ إلى مصاحبته في حملاته الاستعمارية وإلى أن تكون الأداة المسيرة لقراراته السياسية والاقتصادية في كل ما يتعلق بالشرق، وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجهت للكتاب من مختلف الكتاب والباحثين إلا أنني أعتقد أنه استطاع أن يدفع الباحثين الشرقيين إلى الاهتمام الجدي بهذه الظاهرة، ذلك أنه منذ ظهوره شهدت الساحة الفكرية العربية والإسلامية الكثير من الأبحاث والدراسات التي تسلط الضوء على هذه الظاهرة مبرزة جوانبها السلبية تارة وجوانبها الإيجابية تارة أخرى.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحركة ـ خلال قرونها العشرة ـ قد قدمت للفكر الإنساني دراسات وأبحاثاً تزيد على الحصر، واستطاعت ـ على الرغم من أخطائها الكثيرة التي سببها العقدة الدينية والنظرة القومية للشرق ـ أن تسهم في المحافظة على التراث الشرقي ـ والإسلامي منه بوجه خاص ـ وأن تقدمه للإنسانية من خلال ترجمته إلى لغات مختلفة في وقت عجز فيه أهله عن المحافظة عليه وتعريف العالم به.

وأخيراً فإن الصورة السلبية التي اكتسبها الاستشراق من خلال تعامله مع العالم الإسلامي جعلته يبدو وكأنه خطر داهم يريد أن يحطم بناء الشخصية الإسلامية، ولذلك كانت المواجهة لأبحاثه دائماً في العالم الإسلامي تأخذ طابع التوجس والريبة وتحاط بالشك والرفض، ومن هنا توجه المستشرقون في أحد مؤتمراتهم الأخيرة للإعلان عن موت الاستشراق، وأخذوا في استعمال مصطلح جديد أكثر عصرية وأكثر بعداً عن هذه الحساسية، ألا وهو مصطلح (خبير الشرق الأوسط و(الدراسات الشرق أوسطية)، ولكننا مع ذلك كله لا نستطيع قبول ذلك ولا تصديقه، ونعتقد أن الاستشراق يشهد الآن أزهى عصوره فلقد اتسعت ميادينه وزادت إمكانياته وتطورت آليته ووسائله وتعددت مؤسساته وكثر المنخرطون في سلكه رجالاً ونساءاً، وأصبح الآن جزءاً مهماً ـ يسير الإدارة الغربية ويوجه مخططاتها تجاه الشرق، ولم يحدث هذا إلا حين شعر الغرب بحاجته إلى السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية على الشرق.

المصادر والمراجع

(1) إدوارد سعيد، الاستشراق، تر. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث الغربية.

(2) د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين/بيروت.

(3) المستشرقون، نجيب العقيقي/دار المعارف بمصر.

(4) د. قاسم السامرائي، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية/جامعة الإمام محمد بن سعود.

(5) مجموعة أبحاث، مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية/المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي الدولي الخليج.

(6) د. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان ـ دار الكتاب الجديد/بيروت.

(7) سلسلة كتب الثقافة والمقارنة

(8) الاستشراق 5 أجزاء، وزارة الثقافة والإعلام/بغداد.

(9) خوان غويتسولو، في الاستشراق الإسباني/تعريب: كاظم جهاد المؤسسة العربية للدراسات والنشر/بيروت.

(10) إبراهيم عبد الكريم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل/دار الجليل عمان/1993 م.

(11) نزير حمدان، مستشرقون سياسيون جامعيون ـ مكتبة الصديق المملكة العربية السعودية.

(12) د. سالم حميش، الاستشراق في أفق انسداده/منشورات المجلس القومي للثقافة العربية/الرباط.

(13) د. نهاد الموسى، حاشية على الاستشراق المعاصر/المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(14) د. نهاد عليان، أضواء على الاستشراق/دار البحوث العلمية/الكويتية.

(15) د. أحمد سمايلوفنش، فلسفة الاستشراق/مطابع دار المعارف/القاهرة.

(16) د. محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري/كتاب الأمة قطر.

(17) د. قاسم السامرائي، الاستشراق بن الموضوعية والافتعال/دار الرفاعي/السعودية.

(18) سالم يفوت، حفريات الاستشراق/المركز الثقافي العربي/الدار البيضاء.

(19) د. كامل عياد، صفحات من تاريخ الاستشراق/مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق.

(20) إبراهيم السامرائي، من دراسات المستشرقين/دار الفكر للنشر والتوزيع/عمان.

(21) بريان تيرنر، ماركس ونهاية الاستشراق/تر. يزيد صايغ/مؤسسة الأبحاث/بيروت.

(22) د. إسماعيل عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية/دار حنين/عمان.

(23) د. إسماعيل عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية/دار حنين/عمان.

(24) رنا قباني، أساطير أوربا عن الشرق/ تر. صباح قباني/دار طلاس دمشق.

(25) برنا دلويس، الغرب والشرق الأوسط/تعريب نبيل صبحي كتاب المختار القاهرة.

(26) لويس يونغ، العرب وأوربا/تر. ميشيل أزرق/دار الطليعة/بيروت.

(27) د. خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوربا/معهد الإنماء العربي بيروت.

(28) د. ساسي الحاج، الظاهرة الاستشراقية/مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا.

(29) Encyclopedia of Islam (London. 1960).

(30) Aj- Arberry (oriental Essays).

(31) Arberry (A.j.): Britsh orientalists. William collins, London.

(32) Nathaniel Schmiadt, Early oriental studies in Europe.

(33) Montagomery Watt, Mohammad in the Eyes of the West.

(34) Anwar Abdel Malek, orientalisme in crisis.